

Ottoman-French rapprochement (1520-1566 AD) (A historical study)

Houria Hammoud^{*} 

Dr. Ali Ibrahim^{**}

(Received 26 / 3 / 2026. Accepted 3 / 6 / 2026)

□ ABSTRACT □

The fifteenth century witnessed the beginnings of Franco-Ottoman relations, which initially revolved around hostility and war against the Turkish element that was sweeping through the Balkans and the Mediterranean at that time. These relations began with Sultan Bayezid II's attempt to negotiate with the French King Louis XI during the conflict between him and his brother Cem. However, these relations and attempts at rapprochement failed. Thus, it can be said that the origins of the relationship between France and the Ottoman state are old, and these relations moved to a stage of actual alliance during the tenth century AH/sixteenth century AD amidst the internal European conflicts of that century. France looked to the Ottoman state as a friend and trusted ally, which was at the height of its glory and power. This rapprochement was reflected positively on the French side, as it obtained special privileges that other European countries did not have through the Treaty of Capitulations (948 AH/1535 AD), which granted France special advantages and laid the foundations for political, economic, and military cooperation between the two states. It also gave France the right to intervene in the Ottoman provinces under the pretext of protecting its subjects. Consequently, relations between the Ottoman and French sides varied, sometimes characterized by cordiality and rapprochement, and at other times by tension and contradiction, ever since the signing of that treaty.

Keywords: France – Ottoman Empire – rapprochement – treaty – privileges

Copyright



:Latakia University Journal (Formerly Tishreen) -Syria, The Authors
Retain The Copyright Under A CC BY-NC-SA 04

^{*} Master's Student - Department of History - Specialization: Modern and Contemporary - Faculty of Arts and Humanities - Latakia University (Formerly Tishreen) – Syria. houria@latakia-univ.edu.sy

^{**} Associate Professor – Department of History – Specialization in Modern and Contemporary History– Faculty of Arts and Humanities – Latakia University (Formerly Tishreen) – Syria.
ali.ibrahim@latakia-univ.edu.sy

التقارب العثماني-الفرنسي (1520-1566م) (دراسة تاريخية)

حورية حمود *

د. علي إبراهيم **

(تاريخ الإيداع 26 / 3 / 2026. قُبِلَ للنشر في 3 / 6 / 2026)

□ الملخص □

شهد القرن الخامس عشر بدايات الصلات العثمانية-الفرنسية والتي كانت تدور في بداياتها في فلك العداء والحرب للعنصر التركي الذي كان يجتاح مناطق البلقان والبحر المتوسط آنذاك والتي افتتحت بسعي السلطان بايزيد الثاني بالتفاوض مع الملك الفرنسي لويس الحادي عشر خلال الصراع الذي دار بينه وبين شقيقه جم، إلا أن تلك الصّلات ومحاولات التقارب باءت بالفشل أي يمكن القول أن انطلاق العلاقة بين الدولة العثمانية وفرنسا قديمة لتنتقل تلك العلاقات إلى طور التحالف الفعلي خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي في خضم ما شهده ذلك القرن من صراعات أوروبية داخلية حيث تطلّعت فرنسا نحو الدولة العثمانية بوصفها صديقاً وحليفاً يمكن الوثوق به والتي كانت في ذروة مجدها وقوتها، وانعكس هذا التقارب على الجانب الفرنسي إيجابياً فقد حظيت بامتيازات خاصة لم تحظ بها الدول الأوروبية الأخرى من خلال معاهدة الامتيازات العثمانية الفرنسية (948هـ/1535م) والتي منحت فرنسا مميزات خاصة ووضعت اللبنة الأولى لتعاون سياسي اقتصادي وعسكري بين الدولتين وأعطت مجالاً لفرنسا للتدخل في الولايات العثمانية بحجة حماية رعاياها و بناءً على ذلك تنوّعت العلاقات بين الطرفين العثماني والفرنسي منذ أن وقعت تلك المعاهدة، حيث كانت ودودة متألّفة تارة، متوترة متناقضة تارة أخرى

الكلمات المفتاحية : فرنسا - الدولة العثمانية - التقارب -معاهدة-الامتيازات



حقوق النشر : مجلة جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً) - سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب

الترخيص CC BY-NC-SA 04

* طالبة ماجستير -قسم التاريخ -اختصاص تاريخ حديث ومعاصر - كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً)-سورية.

houria@latakia-univ.edu.sy

** أستاذ مساعد -قسم التاريخ -اختصاص تاريخ حديث ومعاصر - كلية الآداب والعلوم الإنسانية- جامعة اللاذقية (تشرين سابقاً)-سورية.

ali.ibrahim@latakia-univ.edu.sy

مقدمة :

يعد القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي مفصلاً تاريخياً مهماً، والذي ميزته مجموعة من الأحداث المصرية منها الحرب الإنجليزية-الإسبانية (963-982هـ/1585-1604م) والحرب الروسية العثمانية (948-993هـ/1585-1670م) والحرب العثمانية البندقية (977 - 978 هـ / 1570 - 1571 م) والتي غيرت موازين القوى أو ما يسمى بمعادلة الشرق والغرب وأدت إلى اختلال واضح بين الطرفين الإسلامي بزعامة العثمانيين والغرب الأوروبي

أضحت الدولة العثمانية في ذروة المجد والقوة خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي وعلى وجه الدقة خلال عهد السلطان العثماني سليمان القانوني (926-973هـ/1520-1566م) لتشمل أراضيها أنحاء واسعة من قارات العالم في أوروبا وآسيا وأفريقيا فقد لقب عهده بالذهبي حيث شهد صلاحاً وتطوراً حضارياً كبيراً جعلها تفرض سيطرتها على العالم .

على الطرف الأوروبي فقد اتصفت العلاقات الداخلية هناك بطابع الصراع و التوتر بين الأسر الأوروبية عموماً لا سيما الصراع بين أسرة آل هابسبورغ بزعامة شارل الخامس وأسرة الفالوا بزعامة فرانسوا الأول، فضلاً عن الصراع الديني تحت مسمى "الإصلاح"، وفي خضم هذه الأحداث برزت الدولة العثمانية بقوتها ومجدها بوصفها حليفاً قوياً لفرنسا وبدأ التقارب بين الطرفين عن طريق حادثة الأسر التي تعرض لها فرانسوا الأول (920-953هـ/1515-1547م) من قبل شارل الخامس (924-963هـ/1519-1556م)، والتي استدعت تدخل السلطان العثماني بعد أن وصلته عدة رسائل استعطاف من قبل والده فرانسوا الأول من أجل المساعدة في إطلاق سراحه .

كانت فرنسا تهدف من تحسين علاقاتها مع الدولة العثمانية إلى تحقيق أهدافٍ عديدةٍ منها دعم العثمانيين مملكة فرنسا لنقويتها عسكرياً واقتصادياً والحيلولة دون وقوعها تحت رحمة إمبراطورية الهابسبورغ التي تترصد بها وتتوي التهامها والحد من طموحات شارل الخامس ملك الهابسبورغ وإضعاف قوته .

أهمية البحث وأهدافه:

جاء اختيار هذا الموضوع انطلاقاً من الأهمية الكبيرة لشخصية السلطان العثماني سليمان القانوني من جهة ومن أهمية المرحلة التاريخية للدولة العثمانية من جهة أخرى والتي كانت فترة سؤدد وعظمة، ويُعد موضوع التقارب العثماني - الفرنسي من المواضيع التي تسيل الكثير من الحبر، فكمية المعلومات التي تشملها غنية جداً، كما أنّ هذا التقارب قد بدأ في القرن السادس عشر مشكلاً بداية لمرحلة جديدة من العلاقات العثمانية الفرنسية من خلال سلسلة من المعاهدات التي ستلقي بظلالها على الطرفين إيجابياً وسلبياً فكانت تتبّع مثل هذه النقطة المفصلية يُكسبُ هذا البحث أهمية كبيرة من خلال معرفة بدايات التحول بين الطرفين وسبل تعزيزه وصولاً إلى ثماره النهائية، وبالتالي إظهار حقيقة تاريخية كان الغرب الأوروبي ينكرها ألا وهي الحاجة الفرنسية للعثمانيين لحمايتهم والوقوف إلى جانبهم ممّا يعطي للبحث قيمة علمية أكبر من خلالها، لا سيما أن عنصر الفوقية هو السمة الغالبة على الأوروبيين خلال تلك المرحلة محاولين إخفاء ما كانت عليه الدولة العثمانية من قوة من وجهة نظرهم.

إشكالية البحث :

تدور في ثنايا البحث إشكالية رئيسة تتطلب من الباحث الإجابة عنها، المتمثلة في توضيح الظروف العامة التي دفعت الطرفين العثماني والفرنسي للتقارب خلال القرن السادس عشر، وكذلك حول توظيف هذه العلاقات بما يتماشى مع أوضاع الطرفين

تندرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية مجموعة من التساؤلات الفرعية التالية :

- 1-ما الذي مهد لبداية العلاقات العثمانية الفرنسية؟
- 2-كيف كانت أوضاع فرنسا خلال القرن السادس عشر وهل لها صلة بالتقارب الحاصل بين الطرفين العثماني الفرنسي؟
- 3-ما هي أهم المعاهدات التي أبرمت بين الطرفين خلال هذه المدة؟ وهل كانت ذات نتيجة متكافئة للطرفين أم لا؟
- 4-كيف انعكست سياسة التقارب على الجانبين العثماني _الفرنسي؟

منهج البحث :

تم الاعتماد في هذا البحث على المنهج التاريخي القائم على جمع المادة العلمية من المصادر والمراجع التاريخية الخاصة بفترة الدراسة، ومن ثم الاعتماد على المنهج الوصفي لبيان الوضع العام الذي ساد كل من فرنسا والدولة العثمانية وطبيعة التقارب ومراحلها في العلاقة بين الطرفين، وكيفية تجلّي ذلك وانعكاساته التي خلفها .

أولاً: الأوضاع العامة في الدولة العثمانية وفرنسا :

-الدولة العثمانية :

مع وصول السلطان العثماني سليم الأول (918-926هـ/1512-1520م)^[1] إلى الحكم شهدت الدولة العثمانية تحولاً في سياستها العامة فقد اتجهت من الغرب الأوروبي إلى المشرق الإسلامي حيث ازداد الخطر الصفوي الزاحف نحو الأناضول والذي بات تهديداً مباشراً للعثمانيين وأمنهم واستقرارهم.^[2] عندما بدأ السلطان العثماني سليم الأول يفكر لاحقاً في وضع خطة لفتح الغرب، وبينما كان يستعد لمقابلة فرسان القديس يوحنا^[3] في رودس^[4]، توفي وهو في طريق عودته من استانبول إلى أدرنة سنة (898هـ/1520م).^[5]

[1] سليم الأول (918-926هـ/1512-1520م) : هو ابن السلطان العثماني بايزيد الثاني وهو السلطان التاسع من سلاطين بني عثمان، ولد عام 1480/874م وجلس على تخت الملك سنة 1532/918م وبعد ذلك نازعه ابن أخيه علاء الدين على الملك وتمكن منهزيمة الشاه الصفوي إسماعيل الأول في معركة جالديران سنة 1514م وفتح سوريا ومصر. البعلبكي، منير. معجم الأعلام المورد (موسوعة التراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م، ص241

[2] حرب، محمد. العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة، 1994م، ص24

[3] فرسان القديس يوحنا: يسمون أيضاً رهبان مالطة أو فرسان الاستبارية، حيث قام القديس يوحنا بتشكيل هذه المؤسسة، والتي بدأت عملها منظمة خيرية دينية، وكان لها في بيت المقدس مأوى لمساعدة المحتاجين، وعندما نشبت الحروب الصليبية تحولت هذه المؤسسة إلى منظمة عسكرية، ثم تم طردهم من فلسطين، فانتقلت لجزيرة رودس، وأسسوا مملكة مسيحية تحت حماية البابا وحماية الملوك المسيحيين. الباروني، محمد. الإسيان وفرسان القديس يوحنا، مطبعة ماجي، طرابلس، 1952م، ص85

[4] رودس: جزيرة ببحر إيجة باليونان تبعد عن غربي تركيا بحوالي 18كلم، وهي جزيرة جبلية ذات شريط ساحلي خصيب. حسين، نصار. الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة المصرية، بيروت، 2009م، م2، ص1673

مع وصول السلطان العثماني سليمان القانوني (926-973هـ/1520-1566م) ^[6] إلى حكم الدولة العثمانية شهد عهده العديد من الإنجازات التي كان أولها ضرب المتمردين، وأصحاب الفتن بيد من حديد، وأول نشاطات المتمردين ما قام به جان بردي الغزالي ^[7] الذي كان يطمح بتوسيع ملكه والسيطرة على سوريا ومصر والانفصال عن الدولة العثمانية داعياً والي مصر لمساعدته في ذلك. ^[8]

زحف الغزالي نحو مدينة حلب وحاصرها سنة (898هـ/1520م)، وسرعان ما وصلت الأخبار إلى مسامع السلطان العثماني سليمان القانوني (926-973هـ/1520-1566م) الذي أمر بانعقاد الديوان بسرعة وكلف قواته بالتحرك نحو حلب مما اضطر الغزالي عقب وصول أخبار تلك الإجراءات الحكومية إليه للانسحاب إلى مدينة دمشق، فنكّل وقتل وخزّب لتصل القوات العثمانية إلى دمشق وتطور رعى معركة طاحنة بين الطرفين سنة (899هـ/1521م)، وانهزمت قوات الغزالي ولقي مصرعه بسهم أودى بحياته. ^[9]

لم يكن ذلك التمرد الوحيد الذي شهدته الدولة العثمانية مع جلوس السلطان العثماني سليمان القانوني على سدة الحكم، بل كان إلى جانبه تمرد والي مصر أحمد شاه الذي كان طامعاً بمنصب الصدر الأعظم، فأعاد تشكيل فرق عسكرية من الأجناس والتشكيلات المملوكية والإقطاعية السابقة. ^[10]

أما التمرد الثالث فقد كان تمرداً شعبياً قام به بابا ذو النون في منطقة لوزغاد، حيث جمع هذا البابا ما بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف تائر وفرض الخراج على المنطقة وقويت حركته حتى أنه استطاع هزيمة بعض القوات العثمانية التي توجهت للقمع حركته، ولكن في نهاية المطاف تمت هزيمته وأرسل رأسه إلى استانبول ^[11]، كما شهدت

^[5] بروكلمان، كارل. تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه فارس، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 2001م، ص44

^[6] سليمان القانوني (926-973هـ/1520-1566م) : هو عاشر سلاطين آل عثمان ولد في طرابزون سنة (889هـ/1494م)، وجلس على العرش بعد وفاة والده سليم عام (898هـ/1520م)، تسلم زمام السلطة، ووضع لها عدة قوانين في الإدارة لذلك لقب بالقانوني ومن أبرز الانتصارات التي حققها السيطرة على بلغراد عام (899هـ/1521م)، وسيطر على رودس عام (900هـ/1522م)، وانتصر في معركة موهاكس على المجر عام (903هـ/1525م)، ثم حاصر فيينا وأقام عدة تحالفات مع أوروبا خاصة فرنسا، وتوفي سنة (973هـ/1566م). طوباش، نوري. العثمانيون رجالهم العظام ومؤسساتهم الشامخة، دار الأرقم، استانبول، 2016م، ص197.

^[7] جان بردي الغزالي : لم يعرف للأمير جان بردي الغزالي تاريخ لميلاده وهو أصلاً من ممالك السلطان الأشرف قايتباي وكان قد اشتراه قم أعتقه، وأخذ في الارتقاء بالمناصب في سلم السلطنة المملوكية، وعين فيما بعد كاشفاً لمنطقة في الشرقية تسمى منية غزال فنسب إليها، ثم جعله الأشرف قايتباي جمداراً وقرره في كشف الشرقية وفي أواخر أيام حكم قايتباي رقي الغزالي إلى أمير عشرة وفي بداية حكم السلطان قانصوه الغوري عين محتسباً للقاهرة عوضاً عن الأمير قرقماس المقرئ ثم حاجباً لحلب في الشام فنانبا لصفد ثم حماء بعد ذلك بعام واستمر في هذا المنصب حتى هزيمة المماليك في معركة مرج دابق سنة (922هـ/1516م). ابن إياس، محمد بن أحمد (ت930هـ/1524م). بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1984م، ص28-

31؛ يحيى، جلال. المجلد في تاريخ مصر الحديثة، المكتب الجامعي الحديث، مصر، دت، ص60

^[8] أمجان، فريدون. سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ترجمة : جمال فاروق، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، 2015م، ص32

^[9] المحامي، محمد فريد بك. تاريخ الدولة العثمانية، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981م، ص198

^[10] السيد، محمود السيد. تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، مكتبة أدب، القاهرة، 2007م، ص255

^[11] حونس، حسين، الجارية روكسلانة تتزوج السلطان العثماني سليمان القانوني، دار ومطابع الإسكندرية، مصر، 1996م، ص242؛ أبو دية، صلاح. السلطان العثماني سليمان القانوني مرارة الواقع والدرامة الكاذبة، دار ابن النفيس للنشر والتوزيع، الكويت، 2013م، ص104

منطقة قونية ومرعش تمرداً شيعياً قام به قلندر^[12] أوغلو وارتكب العديد من المجازر بحق المسلمين السنة في تلك المناطق، إلا أن السلطان العثماني سليمان القانوني تمكن من القضاء عليه^[13] كما شهدت فترة حكم السلطان العثماني سليمان القانوني عصيان بعض القبائل التركمانية والتي تمت السيطرة عليها بنجاح.^[14]

شعر السلطان العثماني سليمان بسعادة غامرة بعد إخماد واقعة الغزالي، وعندما وصل خبر النصر إلى القصر، وبينما وكان يخطط للخروج في حملة تقوي سلطته وفي إطار إحياء سياسة الفتوحات باتجاه الغرب، حدد السلطان العثماني سليمان القانوني هدفين أساسيين أولهما بلغراد والتي تعدّ أهم موقع في وسط أوروبا والآخر جزيرة رودس التي تعدّ أهم موقع من حيث السيادة والسيطرة على البحر الأبيض المتوسط^[15] حيث كانت هذه المدينة قد استعصت على جده محمد الفاتح مما دفعه لتركها وهو يدعو على أسوارها اللهم افتح هذه المدينة على يد رجل من نسلي.^[16]

في تلك الأثناء كانت أوروبا تعاني صراعاتٍ داخليةً والمجريون المسيطرون على بلغراد منشغلون بمشاكلهم الخاصة مع وصول لويس الثاني إلى العرش وهو في سنّ التاسعة، والذي لم يكن له أيّ نفوذ أو صلاحيات بعد فاستغل السلطان العثماني سليمان القانوني هذه الظروف وتحرك بهذه الحملة^[17]، بمزيد من العزم والثبات والانضباط^[18].

تحركت القوات العثمانية وكان هدفها مدينة بلغراد البوابة المؤدية إلى ما وراء نهر الدانوب ومفتاح أوروبا الوسطى وأقوى قلعة على الحدود العثمانية وأدرك المجريون أن موجة جديدة من العثمانيين راحت تهددهم فاستجدوا بدول أوروبا لكنها لم تجد المساعدة^[19] وبعد السيطرة على العديد من المناطق على الطريق نحو المدينة تمكّن العثمانيون من فرض الحصار عليها والذي انتهى باستسلامها للعثمانيين سنة (899هـ / 1521م).^[20]

لم تتوقف الأمور العسكرية السياسية على ما سبق بل دخلت الدولة العثمانية في صراع مع فرسان القديس يوحنا في جزيرة رودس التي كانت تعتبر معقلاً حربياً لأعداء الدولة العثمانية^[21] تلجأ إليها سفنهم وقد حاول أسلاف السلطان

[12] قلندر : كلمة فارسية وتستعمل للرجل المتحلل من جميع الآداب والتقاليد وقيود المجتمع وكانوا جماعة غريبة الأطوار في مظهرهم وطريقة معيشتهم فكانوا يحلقون رؤوسهم ولحاهم وشواربهم وحياتهم ويسيرون دائماً علة وجوههم وكانوا يعيشون حياة الفقر والعزوبية والشحاذة ولهم طريقة تعرف بالطريقة القلندرية. أما في اللغة العثمانية فتعني الانقطاع عن حياة الدنيا، وقطع العلاقة معها، والتوجه إلى طريق الآخرة. صابان. سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م، ص185

[13] حليم بك، إبراهيم. التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، فلسطين، 1905م، ص243
[14] رانسي، إدريس الناصر. العلاقات العثمانية – الأوروبية في القرن السادس عشر، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2007م ص154

[15] أمجان، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ص32
[16] ازياني، محمد بن عبد الملك. منة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، دار النفائس، بيروت، 3، ط، 2013م، ص6
[17] إن السبب الذي أشعل نار الحرب بشكل كبير أيضاً مقتل برهام جاوش رسول السلطان العثماني سليمان القانوني الذي كان قد أرسل إلى المجر للإبلاغ عن اعتلاء السلطان العثماني سليمان القانوني عرش السلطنة وطلب الجزية فأقدم لويس الثاني ملك المجر على قتل الرسول. المحامي، تاريخ الدولة العلية الثمانية، ص19

[18] أمجان، سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ص32
[19] كلو، أندري. سليمان القانوني غازي الغزاة، تر: البشير بن سلامة، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، 1991م، ص77
[20] ياغي، إسماعيل. الدولة العثمانية في التاريخ الإسلامي الحديث، مكتبة العبيكات، الرياض، 1، ط، 1996م، ص63

[21] كان هناك مجموعة من العوامل التي ساعدت العثمانيين في حملتهم على رودس كان أولها انهماك أوروبا بالحرب التي نشبت بين شارل الخامس وفرنسا الأول وانهماك البابا ليو العاشر بمقاومة الراهب الألماني لوثر مؤسس المذهب البروتستانتي وانغماس ألمانيا في

العثماني سليمان القانوني فتح هذه الجزيرة فلم يتمكنوا لشدة اهتمام الدول الأوروبية بها وبحمايتها وكان الدافع للاهتمام بفتحها أن تكون حلقة اتصال بين استانبول ومصر ولكي لا تكون مركزاً حربياً للأعداء^[22]، وتمت السيطرة عليها عام (901هـ/ 1523م) وقد عدَّ السلطان العثماني سليمان القانوني ذلك ثاني أكبر فتوحاته، مما مكَّنه من تأمين تحركاته ومملكه في شرقي البحر المتوسط وفي أوروبا.^[23]

شهدت الدولة العثمانية في تلك الفترة أيضاً صراعاً مع النمسا حيث أقدم السلطان العثماني سليمان القانوني على فتح بلاد المجر سنة (932هـ/ 1526م) وتمكنوا من السيطرة على العديد من مناطق نهر الطونة والتقى الطرفان في نهاية المطاف في معركة موهاكس والتي انتصر فيها العثمانيون على القوات النمساوية.^[24]

لم تته وفاة الشاه إسماعيل الأول سنة (902هـ/ 1524م) والسلطان العثماني سليم الأول سنة (898هـ/ 1520م) الصراع بين القوتين العثمانية والصفوية رغم فترة الهدوء التي أعقبت، ذلك حيث أخذت المشاكل تدبُّ من جديد على الحدود العثمانية الصفوية في فترة مبكرة من حكم الشاه طهماسب الأول (930-984هـ/ 1524-1576م)^[25] ويعود سبب ذلك إلى أنَّ هذا الأخير تسلَّم الحكم وسنه لا يتجاوز 12 عاماً، فكان واقعاً تحت نفوذ الأمراء القزلباش، وهم قادة الجيش الصفوي الذين حاولوا استعادة ما ضاع منهم من أقاليم بفعل التوسعات العثمانية،^[26] فضلاً عن ذلك فقد أعاد الشاه الصفوي السيطرة على بغداد سنة (937هـ/ 1530م) وعيَّن والياً جديداً عليها من طرفه وتعويضه للموالين له، كان من العوامل التي دفعت نحو الصدام أيضاً ما قام به والي بدليس^[27] من تحالف مع الصفويين^[28] والخروج عن

حروب دينية كما كان لعقد الصلح بين الدولة العثمانية والبنديقية أثر في تهينة الأجواء للحملة فضلاً عن نمو الحرية العثمانية في عهد السلطان العثماني سليم الأول فانتفض السلطان العثماني سليمان القانوني هذه الظروف المحيطة وشن حملته على الجزيرة. إبراهيم، بكر محمد. الدولة العثمانية، مركز الـراية للنشر والإعلام، القاهرة، 2006م، ص 229

[22] عبد الله، عبد العزيز. الأمويون والعباسيون والعثمانيون والدوليات المستقلة، دار الدعوة، السعودية، دت، ج 1، ص 105

[23] مصطفى، أحمد عبد الرحيم. أصول التاريخ العثماني، دار الشروق، بيروت، 1982م، ص 89

[24] أرسلان، شكيب. تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط 1،

2012م، ص 187

[25] الشاه طهماسب الأول (930-984هـ/ 1524-1576م): هو أحد شاهات إيران الصفويين الأقوياء حكم خلفاً لأبيه إسماعيل الأول، وكانت ولادته سنة (1514م) وتوفي عام (1576م) وخلال فترة حكمه تعرضت الدولة الصفوية للعديد من الأخطار الخارجية وخصوصاً من قبل العثمانيين في الغرب والأوزبك في الشرق. أشنتياني، عباس إقبال. تاريخ إيران بعد الإسلام (من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية)، ترجمة: محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة، 1990م، ص 648

[26] صباغ، عباس إسماعيل. تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، دار النفائس، بيروت، 1999م، ص 128-135

[27] بدليس: لا يعرف بالضبط متى استخدمت كلمة بدليس كاسم لهذه المدينة وماذا تعني ولكن هناك من المؤرخين من أشار إلى أن الآشوريين كانوا يسمون المدينة (فاسيس) أما الأرمن (باكيش) في حين تجمع المصادر التاريخية والجغرافية العربية على تسميتها (بدليس) أما الأتراك فقد حولوا الدال إلى تاء (بتليس) تقع هذه المدينة في منطقة جبلية جنوب غرب بحيرة وان وعلى بعد 25 كم عن الساحل الجنوبي الغربي للبحيرة. زاخوي، ماجد محمد. إمارة بدليس في العهد العثماني (دراسة تاريخية وثائقية)، مركز زاخو للدراسات الكردية، العراق، 2018م، ص 33-34

[28] الصفويين: نسبة إلى الشيخ صفي الدين إسحاق الأردبيلي (650-734هـ/ 1253-1334م) الذي ينحدر من أسرة معروفة في أردبيل بأذربيجان، أسس طريقة صوفية، وبعد وفاته تولى المشيخة ولده صدر الدين موسى (734-793هـ/ 1334-1391)، ثم ولده خوجة علي (793-832هـ/ 1391-1429م) ثم ولده إبراهيم (832-850هـ/ 1429-1447م)، ثم ولده جنيد (850-864هـ/ 1447-1460م)، عندما بدأت الحركة تأخذ طابعاً سياسياً، ثم تولى الزعامة ابنه حيدر (864-893هـ/ 1460-1488م)، الذي اعتمد لبس العمامة الحمراء ثم ألبسها لأصحابها فسماهم الناس بالقزلباش أي أصحاب الرؤوس الحمراء. وشرع إسماعيل بن حيدر من عام (893هـ/ 1488م) في توسيع

طاعة السلطان العثماني^[29] فقرّر السلطان العثماني سليمان القانوني التحرك، وأن لا يقف مكتوف الأيدي إزاء التطورات الحاصلة، فشنّ العثمانيون حملة سنة (941هـ/1533م) ونجحت الحملة الأولى في ضمّ تبريز^[30]، و بدليس إلى سيطرة العثمانيين دون مقاومة^[31] وتمّ تعزيز الوجود العثماني في تبريز عن طريق بناء قلعة فيها سنة(942هـ/1534م).^[32]

تجددت الحروب بين الطرفين وشنّ السلطان العثماني سليمان حملة بقيادته ضدّ الشاه طهماسب الذي كان يتراجع أمام الجيش العثماني دون مواجهة وبسبب سوء الأحوال الجوية وصعوبة نقل المعدات على العثمانيين قرروا تغيير وجهتهم نحو بغداد وبالفعل تمكّنوا من دخولها سنة(943هـ/1535م) بعد فرار الحامية الصفوية منها وتبعت تلك الحملة ثلاث حملات أخرى انتهت بسنة(931هـ/1553م)، وتم عقد الصلح^[33] بين الطرفين باسم معاهدة أماسيا^[34] بعد اقتناع السلطان العثماني سليمان القانوني بصعوبة التوغل في العمق الإيراني رغم الانتصارات الظرفية ودخول تبريز لعدة مرات.^[35]

إنّ التوسّع في الأراضي العثمانية^[36] خلال القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين وضّمها أجزاء كبيرة من أوروبا وآسيا فرض عليها تبني نظاماً خاصاً للحفاظ على التوازن السياسي والعسكري، لذلك اعتمدت الدولة على

حدود حكمه حتى تمكن من تأسيس دولته التي يحكمها بين عامي(879-902هـ/1501-1524م)، واتخذ لنفسه لقب شاه كما اتخذ من تبريز عاصمة له وجعل التشيع مذهب الدولة الرسمي. دحلان. أحمد، الفتوح الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، مكتبة الحقيقة، تركيا، 1433هـ، ص150.

[29] عباس، باسم حمزة. إيران في عهد الشاه طهماسب الأول الصفوي، مجلة الخليج العربي، البصرة، م40، ع1، 2012م، ص8
[30] تبريز : من أشهر مدن أذربيجان، وهي مدينة حسنة عامرة ذات أسوار محكمة بالأجر والجص وفي وسطها أنهار جارية والبساتين محيطة بها. اليعقوبي. أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر (ت897هـ/284م)، البلدان، تج: محمد أمين ضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص80.

[31] طقوش، محمد سهيل. تاريخ الدولة الصفوية في إيران، دار النفائس، بيروت، ط1، 2009م، ص98

[32] أبو غنيم، زياد. السلطان المجاهد محمد الفاتح، دار الفرقان، عمان، 1983م، ص145

[33] كان هناك مجموعة من العوامل التي دفعت الطرفين العثماني - الصفوي لتوقيع معاهدة أماسيا أولها رغبة الطرفين في تهدئة جبهات القتال وطموحات السلطان سليمان في وسط أوروبا وسعيه لدخول فيينا وما بعدها فأراد التفرغ لهذا المشروع الاستراتيجي بينما رغب الشاه طهماسب الأول في التفرغ لمشكلات البلاد الداخلية وتحقيق تماسك الجبهة الداخلية فضلاً عن اقتناع كلا الطرفين بعدم جدوى المواجهة المستمرة واستحالة قضاء طرف على آخر أما السبب الأساسي والمباشر فكان مرتبط بعنف العمليات العسكرية وقساوتها في المواجهات التي جرت بين الطرفين، تم عقد هذه المعاهدة في منطقة أماسيا. عباس، إيران في عهد الشاه طهماسب الأول الصفوي، ص12

[34] تم الاتفاق في أماسيا على مجموعة من النقاط أبرزها تقسيم مناطق الصراع بين القوتين كالاتي للدولة العثمانية أذربيجان الغربية وأرمينيا الغربية وكرجستان وتعترف الدولة الصفوية بالسيادة العثمانية على العراق وللدولة الصفوية أذربيجان الشرقية وأرمينيا الشرقية وكرجستان الشرقية وتكون ولاية قارص بمثابة فاصل بين الدولتين باعتبارها تابعة للدولة العثمانية كما تم الاتفاق على تحرير حدود ولاية شهرزور حتى يمنع حدوث ما يعكر الصفو والهدوء والأمن على حدود الدولتين كما تعهد العثمانيون بحماية الحجاج الإيرانيين وتوفير الأمن والسلامة لهم وكان من جملة ما تم التفاهم عليه تعهد الطرفين بعدم إيذاء الفارين مع وجوب تسليمهم. طقوش، تاريخ الدولة الصفوية في إيران، ص101؛ حلاق حسان. مدن وشعوب سلامية، دار الرتب الجامعية، سوفير، ديت، ج4، ص426

[35] المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص222؛ هريدي، محمد عبد اللطيف، الحروب العثمانية الفارسية وأثرها في انحسار المد

الإسلامي على أوروبا، دار الصحوة للنشر والتوزيع، 1987م، ص65

[36] قسمت الأراضي العثمانية إلى عدة أنواع منها أرض العشر والتي تعني تقديم ضريبة تتراوح ما بين 10-15 من المحصول الذي تدره الأرض ويحق لصاحبها بيعها أو أن يهبها واقتصرت ملكيتها على المسلمين فقط أما النوع الثاني فهو أرض الخراج، وحملت تلك التسمية لأنها تجني من أصحابها ضريبة، وهذا النوع يعد ملكاً تاماً لصاحبها فقط عليها أن تدفع الخراج، أما النوع الثالث فهو الأراضي الأميرية وهي الأراضي التي تم الاستيلاء عليها بالحروب وانتقلت ملكيتها مباشرة إلى الدولة المسلمة ولكنها تركت في أيدي أصحابها السابقين ويقدمون ما عليها من ضرائب. رانيسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر الميلادي، ص170

النظام الإقطاعي وكان الغرض منه جعله مصدراً ثابتاً لاندماج جيوشهم برواتبهم مقابل التزاماتهم العسكرية والاستعداد للحرب.^[37] وقد بقي هذا النظام معمولاً به في عهد السلطان العثماني سليمان القانوني، بينما أضاف عليه بعض القواعد اللازمة، حيث وزعت الأراضي المستجدة بالفتح على مستحقيها، ورُبطت بصفة قانونية وقد أعطيت للقادة والقضاة والعسكريين وقادة الوحدات.^[38]

أما تجارياً فقد أدت طرق المواصلات المتشعبة داخل السلطنة دوراً هاماً في تنشيط التجارة مع مختلف المدن والولايات حيث أن الرقعة التي استحوذ عليها العثمانيون في تلك الفترة كانت تحتوي على أجزاء من القارات الثلاث وما يضيفه امتداد البحر الأحمر والمتوسط والخليج العربي من الأهمية الاقتصادية، حيث كانت التوابل تصل بشكل مباشر من الهند وأندونيسيا، كما جرى تبادل تجاري واسع للبضائع الهندية مع البضائع الأوروبية في أسواق حلب والقاهرة وإستانبول، كذلك كان يتم تصدير الأخشاب إلى مصر وانتشرت تجارة العبيد مع أنطاليا^[39]، كما تاجرت الإمبراطورية العثمانية مع منطقة البحر الأسود ولوقت طويل دون أي منافسة خارجية، وبعد فتح القسطنطينية منع العثمانيون تصدير القمح والزيت والسمك إلى إيطاليا^[40]، أما البحر الأحمر فيمثل ذراعاً للمحيط الهندي ويربطه بباب المندب وليس هذا المحيط سوى الطريق الذي توصل إلى التجارة مع الهند والصين^[41].

كانت الصناعة تقليدية وموجهة للاستهلاك الذاتي بالدرجة الأولى رغم وجود نشاط حرفي وتجاري في الوسط العثماني حيث شاعت صناعة الغزل والنسيج والأواني الفخارية بين الأسر الريفية، إلا أنها كانت منتشرة في المدن انتشاراً واسعاً، وقد شجع السلاطين العثمانيون ومن بينهم السلطان العثماني سليمان القانوني هذا القطاع وتحولت المدن إلى مراكز للصناعات والمبادلات التجارية والتي مثلت قاعدة للحياة الاقتصادية^[42] ومن أنواع الصناعات التي انتشرت في هذه الفترة سواء داخل السلطنة أو خارجها نجد الصابون والأواني الزجاجية والأواني النحاسية والفخار والشموع وكذلك الصناعة النسيجية كصناعة الأصواف والأقمشة الحريرية والقطن.

ازدهرت الحياة الحضارية في الدولة العثمانية خلال حكم السلطان العثماني سليمان القانوني، فقد اهتمت الدولة بشكل عام بوضع النواة الأولى للمؤسسات العلمية والاجتماعية واهتم بدوره بالمؤسسات المختلفة فخطا الخطوة الأولى بإقامته مدرسة الجواز والجامع الكبير في أزميق عقب السيطرة عليها سنة (731هـ/1331م).^[43]

كان التعليم مجالاً مهماً للسلطان العثماني فقد منحت مدارس المساجد التي تمولها المؤسسة الدينية تعليماً مجانياً للأطفال المسلمين وزاد السلطان العثماني عددها، عندما اعتلى سليمان العرش كانت إستانبول عاصمة وزادت الجوامع والقصور التي بناها والمباني التي شادها وفي كل مكان من جمال العاصمة وهي مباني ذات خطوط بسيطة معدة

^[37] رانيسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر الميلادي، ص 170

^[38] مرجع نفسه، ص 176

^[39] إينالجيك، خليل. تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة: محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بنغازي،

2002م، ص 200

^[40] مرجع نفسه، ص 201

^[41] رانيسي، العلاقات لعثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر الميلادي، ص 212

^[42] مرجع نفسه، ص 213

^[43] هريدي، صلاح أحمد. تاريخ العرب الحديث، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، 2008م، ص 437

للمكاتب والمدارس ولأغراض عديدة من مصالح القصر وللسلطان نفسه وهي صالحة للاجتماعات وفي شيء من العزلة توجد كتلة مباني الحريم التي تتضخم بإقامة البناء حسب الحاجات [44]

أصدر السلطان العثماني سليمان مدونة قانونية راعى فيها الظروف الخاصة لأقطار دولته وحرص على أن تتفق مع الشريعة الإسلامية وقد شملت هذه القوانين السجلات القانونية والمالية لأصحاب الإقطاعيات وعامة الشعب [45]

فرنسا :

عرفت الفترة التي سبقت وصول فرانسوا إلى الحكم نشوب عدة حروب بين فرنسا وإسبانيا، لأن فرنسا في هذه الأثناء كانت تحاول السيطرة على شبه القارة الإيطالية التي شهدت انقسامات عديدة خلال القرن الخامس عشر الميلادي مشكّلة إمارات ودويلات منها جمهورية البندقية [46] وميلانو وما ميز هذه الأخيرة هو التجارة والتقابل، لتُشغّل الإمبراطورية الرومانية المقدسة [47] وإنجلترا هذه الفترة، وتتدخل على أساس حفظ السلام والأمن في المنطقة. [48]

تولى شارل الثامن (887-903هـ/1483-1498م) [49] الحكم وكان يمتلك قوة عسكرية ضخمة واتجهت أنظاره نحو إيطاليا مطالباً بحقه بوراثته نابولي والتي أكد الكثير من الدارسين للتاريخ على أنها كانت مجرد ذريعة دبلوماسية وعسكرية [50] حيث حدث صراع بين الحاكم الشرعي جان جلياز والمعمار العسكري رولودفيكو سفورزا (830-886هـ/1452-1508م) [51] الذي كان يتطلع لعرش ميلانو فاستجد جلياز بفرديناند الأول (ملك نابولي بينما استجد لودوفيكو بشارل الثامن والذي رحب بتلك الدعوة ووجدها الفرصة المناسبة لتحقيق مبعثه

[44] أغورلو، طلحة. سلطان حكم العالم " القانوني رحلة شيقة في تاريخ الدولة العثمانية "، ترجمة : عبد القادر عبد الله، ثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، ص2015م، ص404

[45] أبو دية، السلطان سليمان القانوني مرارة الواقع و الدرامة الكاذبة، ص119

[46] البندقية :مدينة إيطالية تقع في الشمال من البحر الأدرياتيكي وتمثل مركزاً تجارياً وفي القرن 15 أصبحت تسيطر على التجارة في الجانب الشرقي من حوض البحر المتوسط وتراجعت بعد اكتشاف رأس الرجاء الصالح. سهيلة، أحمد سرير، الإمتيازات الأجنبية في الدولة بين الآثار الإيجابية والسلبية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة يحيى فارس، المدينة، 2014م، ص12

[47] الإمبراطورية الرومانية المقدسة : قامت هذه الإمبراطورية عام 962م غربي وسط أوروبا واتخذت من ألمانيا عاصمة لها واستمرت حتى عام 1806م وقد كانت متصلة بالكنيسة الكاثوليكية الرومانية إلا أنها عانت كثيراً بسبب النزاعات بين الأباطرة والبابوات وقد حكمت أسرة هابسبورغ هذه الإمبراطورية حوالي 400 سنة. الشويحات، أحمد مهدي، الموسوعة العربية العالمية، د،ن، السعودية، 2004م، ص1

[48] جلال، يحيى، أوروبا في العصور الحديثة، الهيئة العامة للكتاب، مصر، 1981م، ص383

[49] شارل الثامن (887-903هـ/1483-1498م):ملك فرنسا من سلالة فالوا وهو ابن لويس الحادي عشر وأمه هي شارلوت ابنة لويس دوق سافوي خلفه والده وعمره 13 عاماً وكانت ختة الوصية عليه حتى عام 1491م وقاد سلسلة من الحروب الطويلة مع إيطاليا توفي على إثر حادث ولم يكن له وريث خلفه ابن عمه لويس الثاني عشر.

RIPULT.JOSEPH.HITOIRE DE LA MAISON DE BOURBON TOME III.IMPRIMERIE ROYAL. PARIS. 1907.P249

[50] المزاري، الأغا بن عودة، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، تحقيق : يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، د،ت، ص180

[51] رولودفيكو سفورزا (830-886هـ/1452-1508م):عين دوقاً لباري من سنة 1479 ثم دوقاً لميلانو بين عامي (1494-1500م).

DURANT. WILL.THE RENAISSANCE.SIMON AND SCHUSTER.NEW YORK.VOL 5.1952.P191

ونزلت القوات الفرنسية في فلورنسا [52] سنة (899هـ / 1494م) قاصدة نابولي. [53]

بعد هذا النصر الفرنسي ثارت مخاوف رولودفيكو حاكم ميلانو من سيطرة فرنسا على إيطاليا كما خشي الإمبراطور مكسمليان الأول (913-924هـ / 1508-1519م) [54] من اختلال توازن القوى بسبب النصر الفرنسي فتم تشكيل حلف مضاد للفرنسيين سنة (868هـ / 1490م) تحت اسم حلف البندقية مما دفع شارل الثامن للخوف والانسحاب تاركاً نابولي بيد لودوفيكو وميلان مقابل تعهد للفرنسيين بأن يكون لهم حق المرور والمساعدة للمدينتين في حال تعرضوا للأذى من أي طرف، وتوفي شارل الثامن سنة (876هـ / 1498م). [55]

عرفت فترة فرانسوا الأول (920-953هـ / 1515-1547م) [56] باستمرار الصراع الذي كان قائماً بين فرنسا وإسبانيا من أجل التفوق في أوروبا ودخل هذا الصراع بما يسمى بالحروب الإيطالية، فبعد موقعة مارينيانو سنة (921هـ / 1515م) والاتفاقيات التي تمت في العام التالي استمر هذا الصراع لفترة طويلة وبدأت المنافسة بين فرانسوا الأول وشارل الخامس (924-963هـ / 1519-1556م) [57] ملك إسبانيا على العرش سنة (895هـ / 1516) وهو ما ساهم في تجديد الحرب ووقوع معركة بافيا [58] وإنهاء هذا الصراع بمعاهدة مدريد. [59]

في سنة (897هـ / 1519) برز شارل الخامس من أسرة الهابسبورغ [60]، وفرانسوا الأول كمرشحين لعرش

[52] فلورنسا: مدين إيطالية، تقع على ضفاف نهر أرنو وسط إيطاليا. عرفت قديماً باسم فرونتيا وكانت تشكل مركزاً تجارياً هاماً خاصة في تعاملاتها مع الدولة العثمانية. سهيلة، الإمتيازات الأجنبية في الدولة بين الآثار الإيجابية والسلبية، ص12

[53] نوار، عبد العزيز، التاريخ الأوروبي الحديث في عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مصر، 1999م، ص87
[54] مكسمليان الأول (913-924هـ / 1508-1519م): إمبراطور روماني مقدس وهو أول إمبراطور لم يتوج من قبل البابا لأن رحلته على روما كانت محفوفة بالخطر فبدلاً من ذلك تم إعلانه كإمبراطور روماني منتخب من قبل البابا يوليوس الثاني في ترينتو مما أدى إلى كسر التقاليد التي تتطلب التتويج وهو الابن الأكبر لفرديرد الثالث توفي سنة (924هـ / 1519م).

LOUIES.CULER.THE IMPERIAL MOTET BARMOTER OF RELATIONS BETWEEN STATE AND CHURCH THE PURSUT OF HOLINESS.STUFIES IN MEDIVAL AND REFORMATION.LIEDEN.1972.VOL10.P490

[55] نوار، التاريخ الأوروبي الحديث في عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص88
[56] فرانسوا الأول (920-953هـ / 1515-1547م): توج ملكاً لفرنسا عام 1515م وهو من نسل الدوق دوريليان أبوه شارل أوريليان ووالدته لويز دي سافوا 7ع رف سياسته التوسعية نحو إيطاليا وألحق هزيمة نكراء بالسويسريين سحتو على ميلانو ولكنه فشل في حمل لقب الأمراء الجرمانيين وهذا بعد انتخابه غريمه شارل الخامس الذي دخل معه في مواجهات بينه وبين أسرة الهابسبورغ قام باستبدال اللغة الفرنسية باللاتينية في دوائر الدولة كما شجع حركة الآداب والفنون وساهم بدفع حركة النهضة الأوروبية تعرض للأسر في معركة بافيا سنة 1525م وأجبر على توقيع اتفاقية مدريد. الرانيسي، دريس الناصر، العلاقات العثمانية الأوروبية خلال القرن 16، ص92

[57] شارل الخامس (924-963هـ / 1519-1556م) : ولد هذا الملك عام 1500م وورث العرش عن والدته جان ابنة فرديناند وإزابيلا من ملوك إسبانيا اللذين أخرجوا المسلمين من الأندلس انتخب أميراً لألمانيا وقام بحملة على الجزائر سنة 1541م وانهزم فيها وقضى أيامه في محاربة فرانسوا الأول حاصر مدينة متس دون أن يتمكن من فتحها 1552م ودخل في صراع مع خير الدين بارباروسا بغية السيطرة على الجزائر واضطهد البروتستانت إلا أنه اضطر أخيراً سنة 1547م أن يمنحهم الحرية الدينية بعد أن حاربوه وانتصروا عليه سنة 1558م. فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص204

[58] بافيا: أو معركة بافيا التي كانت شمال إيطاليا عام 1525م والتي درات بين فرانسوا الأول وشارل الخامس وهزم فيها فرانسوا ووقع بالأثر. يحيى، جلال، أوروبا في العصور الحديثة، دار المعارف، مصر، 1981م، ص409

[59] معاهدة مدريد: والتي كانت بعد عام من أسر فرانسوا الأول التي تم عقدها في مدينة مدريد عام 1526م والتي أخرج بفضلها من الأسر وقد أجبر على توقيعها فرانسوا الأول بسبب الشروط الصعبة التي فرضت عليه. يحيى، أوروبا في العصور الحديثة، ص431

[60] أسرة الهابسبورغ: هي عابنة ملكية أوروبية، تولى أفراد هذه الأسرة الحكم في الإمبراطورية الرومانية والحكم على عروش مختلفة في أوروبا من القرن 13 حتى أوائل القرن 20 واسم العائلة من واحدة من أول القلاع التي امتلكوها وهي قلعة هابسبورغ أو قلعة الصقر

الإمبراطورية الرومانية المقدسة وقد وعد كلٌّ منهما خلال هذه المناسبة بالهجوم على الدولة العثمانية والعمل على إنجاح الحروب الصليبية وقدرات الهيئة المنتخبة من أمراء الألمان، حينئذ اختيار شارل الخامس لهذا المنصب أثار حفيظة الملك الفرنسي فرانسوا الأول واشتعلت الحرب بين هذين الأخيرين .^[61]

أما اقتصادياً فقد عرفت فرنسا حالة من التدهور والتراجع الاقتصادي بفعل الخسائر الكبيرة التي تكبدتها في حروبها المختلفة كما فقد الكثير من جيوشها واستنزاف مواردها بسبب تخريب العديد من المدن الفرنسية ودفع مبالغ مالية كبيرة على عمليات الكشوف الجغرافية في تلك الفترة.^[62]، على المستوى الديني كانت فرنسا غارقة في صراعات دينية دامية حيث ظهر جون كالفن (887-942هـ/1509-1564م)^[63] في فرنسا بوصفه أحد المتأثرين بالإصلاح الديني الذي قاده مارتن لوثر^[64] في ألمانيا وفي عام (940هـ/1534) ظهرت لوحات إعلانية على الجدران في أماكن مختلفة من باريس، بل وحتى على باب الملك فرانسوا الأول تتضمن تنديداً عنيفاً بالقداس حيث تعامل معها الملك بقسوة شديدة واعتبر هذا الفعل جريمة ماسةً بجلالته، فتمت الاعتقالات وأقيمت المعارك وكان من بين الضحايا صديق له مما ترك الأثر الأكبر في نفسه وكان دافعاً له لتأليف كتابه المؤسسة المسيحية.^[65]

التي بنيت في سويسرا عام 1020م وبعدها أصبحت النمسا الوطني الجديد للعائلة. سهيلة، الإمتيازات الأجنبية في الدولة بين الآثار الإيجابية والسلبية، ص4

[61] نوار، عبد العزيز، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، مصر، د.ت، ص129-130

[62] يحيى، أوروبا في العصور الحديثة، ص429

[63] جون كالفن (887-942هـ/1509-1564م) : ولد سنة (887هـ/1509م) في نوايون بفرنسا ومات في جنيف سنة (942هـ/1564م) أراد أهله أن يدخل السلك الكهنوتي حيث أرسلوه لما بلغ من العمر الرابعة عشر إلى باريس للدراسة، كما اتصل بالأوساط الإنسانية في العاصمة الفرنسية وقد عزف عن اللاهوت مما دفعه لتوجهه إلى أورليان ليدرس القانون بناءً على رغبة أبيه ونشر أول مؤلفاته وهو عبارة عن شرح لكتاب سنكا في التسامح كما بدأ كالفن بدراسة اليونانية بمساعدة صديقه ملشوت ولمار وربما دراسته لليونانية قد بين له زيف ادعاءات الكنيسة في حين أيقظت في دراسة القانون روح التحرر من ظلم الكنيسة كما حرر أثناء وجوده في أورليان رسالته في نوم النفوس وهاجم فيها بعض القائلين بتجديد العماد وفي سنة (914هـ/1535م) أقام بعض الأسابيع في بال واستطاع أن ينجز كتابه باللاتينية تأسيس المسيحية والذي أصدره سنة (914هـ/1536)، والذي عرض فيه فكر الإصلاح الديني الذي ترجمه فيما بعد إلى الفرنسية وخلال السنوات التي أقامها كالفن في ستراسبورغ عمق معارفه اللاهوتية كما عين في المدرسة العليا أي علم فيها إنجيل يوحنا ورسائل بولس وفي سنة (917هـ/1539م) أصدر الشروح على رسالة بولس لأهل رومية. طريش، جورج. معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2006م، ص508-510

[64] مارتن لوثر : هو مصلح ديني ألماني ومؤسس البروتستانتية ولد في أيسلين سنة (861هـ/1483م) ومات في هذه المدينة نفسها سنة (924هـ/1546م) وكان أبوه عامل منجم وأسرته من الفلاحين تلقى تعليماً جيداً في ماغبورغ و إيزناخ نال شهادة البكالوريوس في الأدب من جامعة إرفورت سنة (880هـ/1502م)، ثم شهادة الفنون الحرة سنة (909هـ/1505م)، كما درس القانون لتلبية رغبة والده وبعد أن سار لوثر في هذه الوجهة الجديدة بوقت قليل نذر أن يدخل الدير تحت وقع الرعب الذي انتابه في أثناء عاصفة كان أن يهلك فيها، وهكذا انتسب سنة 1505م إلى رهبانية القديس أوغسطين وبعد حصوله على درجة البكالوريا في الكتاب المقدس سنة (887هـ/1509م) عين مدرساً للاهوت وبعد نيله شهادة الدكتوراه في الكتاب المقدس حصل على كرسي الكتاب المقدس في جامعة فيتنبيرغ الناشئة سنة (890هـ/1512م) والتي ألقى فيها جملة من الشروح أرسى من خلالها لاهوته وبعد أن ذاعت تلك الشروح كانت آماله بتجديد اللاهوت سنة (859هـ/1517م)، وعرض أفكاره في رسالته حرية المسيحي ثم في كتابه الإصلاحية وبسبب تلك الكتابات حرم لوثر كنسياً وأقام بقلعة وتبرغ تحت حماية الدوق فردريك وهناك كتب القديس الخاص والنذر الرهبانية كما ترجم العهد الجديد إلى اللسان الألماني وكتب أيضاً السلطة الزمنية وحدود الطاعة الواجبة لها الذي وضع فيه حجر الزاوية في نظرية الدولة وغيرها من الكتابات. طريش، معجم الفلاسفة، ص587-589

[65] نعمة، عباس. الإصلاح الديني في فرنسا، مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية، العراق، 4م، ع1، 2005م، ص187؛

نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، ص138

2- طبيعة التقارب العثماني الفرنسي (1522-1566م):

تعود أقدم الإشارات لصلات الدولة العثمانية بفرنسا إلى عهد السلطان العثماني بايزيد الثاني في إطار صراعه مع أخيه الأمير جم وكان حاكماً على إمارة القرمين عند وفاة والده فادّعى السلطنة ونافس أخاه بايزيد عليها ودخل الأخوان في صراع وتنفق جم بين عدة جبهات دولية طالباً المساعدة والعون ضد أخيه وانتهى به المطاف عند البابا الذي اتفق مع السلطان أن يجري له راتباً ولا يهاجم السلطان العثماني الأراضي الإيطالية مقابل التحفظ على الأمر وعدم إطلاق سراحه وعندما غزا الملك الفرنسي إيطاليا طالب به فسلمه البابا لكن الأمير جم سرعان ما وافته المنية [66].

إن محاولة السلطان العثماني إقامة علاقة مع الحكومة الفرنسية، فتم إرسال مبعوث عثماني هو حسين باي سنة (861هـ / 1483م) إلى فرنسا، إلا أن البعثة فشلت في مساعيها بعد أن وصل المبعوث إلى مدينة شامبري ووجد الملك الفرنسي لويس السادس مفارقاً الحياة فعاد السفير إلى بلاده دون تحقيق شيء يذكر وبعد ذلك بثلاثة أعوام أرسل الباب العالي المبعوث نفسه إلى فرنسا بمهمة تتعلق بإقامة علاقات بين البلدين غير أن الملك الفرنسي شارل الثامن رفض مقابلة المبعوث وانتهت المهمة عند هذا الحد [67].

مع مطلع القرن السادس عشر الميلادي تحوّلت طبيعة العلاقات بين الطرفين وأصبحت أكثر إلحاحاً تدفع كلا الطرفين إليها جملة من العوامل الخاصة في ظل مجموعة من التغيرات التي شهدتها الساحة الأوروبية ومنطقة البحر المتوسط لا سيما أن الدولة العثمانية كانت تنتهج سياسة توسعية هناك مما أفضى في نهاية المطاف للصدام مع الإسبان [68] دخلت فرنسا في تلك الفترة بمجموعة من الصراعات منها ضمن إطار ما عرف باسم الحروب الإيطالية والتي استمرت بين عامي (1494-1559م) والغاية منها التوسع الإقليمي في الأراضي الإيطالية [69] أو خلال الإطار الآخر حول التاج الإمبراطوري والذي كان قد ظهرت بوادره بعد وفاة الإمبراطور الهابسبركي مكسمليان الأول سنة (897هـ / 1519م)، حيث كان المنصب يتم شغله عن طريق الانتخابات والترشيح لا عن طريق الوراثة وذلك حسب ما نصّ عليه المرسوم الذهبي الذي صدر في عهد الإمبراطور شارل الرابع سنة (756هـ / 1356م)، والذي ينظم عمليات الانتخابات وحصرها سبعة من كبار الأمراء في الإمبراطورية ويسمون الناخبين، وبعد وفاة مكسمليان رشح كل من فرانسوا الأول وشارل الخامس نفسيهما للمنصب، وانطلق شارل الخامس في خطوته تلك من منطلق أنه حفيد الإمبراطور بينما كان فرانسوا الأول قد شارك رفضاً لبقاء العرش بيد أسرة الهابسبورغ لثلاث أجيال متعاقبة [70].

بناءً على ما سبق يمكن القول أن الإسبان أصبحوا عدواً مشتركاً للفرنسيين والعثمانيين وبلغ الصراع الفرنسي الإسباني حدته سنة (903هـ / 1525م)، حيث دخل الطرفان في معركة طاحنة حملت اسم بافيا والتي وقع خلالها فرانسوا الأول في الأسر ذلك الحادث الذي شكل بداية حقيقية في العلاقات بين الدولة العثمانية وفرنسا، حيث عمدت والدته الوصية على العرش إلى إرسال مندوبها إلى السلطان العثماني سليمان بغرض طلب المساعدة وتحرير ولدها

[66] أفندي، إبراهيم، مصباح الساري ونزهة القاي، دار صادر، بيروت، 1855م، ص 119

[67] رانسي، العلاقات العثمانية الفرنسية في القرن السادس عشر، ص 93

[68] Gofan, Danel. The ottoman emper and early modern Europe. warin early modern world.cambridge.2003.p155

[69] الشناوي، عبد العزيز، وروبا مطلع العصور الحديثة، دار المعارف، مصر، 1969م، ج 1، ص 130

[70] مرجع نفسه، ص 192-205

فرانسوا لكن طلبها لم يتحقق بسبب اغتيال هذا المندوب قبل وصوله لقصر السلطان العثماني^[71].

لم تقتصر محاولات الوالدة على ذلك بل عمدت إلى إرسال الكونت جان فرانكياني إلى الأراضي العثمانية للغرض ذاته، وتمكن من الوصول بالفعل وعرض رسالتها على السلطان العثماني سليمان القانوني سنة (903هـ/1525م)^[72] وكانت تلك الرجوى تتضمن أن يقدم السلطان العثماني سليمان على مهاجمة الممتلكات النمساوية وممتلكات الإمبراطورية الرومانية المقدسة والغاية من ذلك حسب ما عبرت عنه الوالدة تقليل الضغط والخطر الذي يمارسه شارل الخامس على الأراضي الفرنسية، وعلى الفور لبى السلطان العثماني تلك الدعوة وشنّ سلسلة حروب كما ذكرنا وصولاً لجوار العاصمة النمساوية فيينا^[73].

شهدت المرحلة التي عقت خروج فرانسوا من السجن تكثيف إرسال الطلبات والرسائل للأراضي العثمانية وبدوره وجه السلطان العثماني القانوني رسالته التاريخية المشهورة التي حملت ضمن سطورها معاني عميقة وعديدة فقد أوضحت القوة التي بلغها السلطان العثماني والنبرة المتعالية والمغرورة أمام توسل فرانسوا الأول له مؤكداً على أن العرش العثماني هو الحامي لفرنسا ولن يستطيع أحد أن يهدّدها في حال وقف إلى صفها^[74].

لم يكن الدافع السياسي وراء تنامي العلاقات العثمانية الفرنسية فحسب، بل كان هناك بعداً اقتصادياً حيث قام السلطان العثماني سليمان القانوني بتجديد الامتيازات الفرنسية في مصر والتي كانوا قد حصلوا عليها في عهد السلطان المملوكي قانصوه الغوري منذ سنة (887هـ/ 1509)، وحصل الفرنسيون من خلالها على حق إقامة قنصليات وتخفيضات جمركية.^[75]

وضع فرانسوا الأول هدفاً نصب عينيه يساعده في تحسين وضع دولته الاقتصادي ألا وهو البحث بشئى السبل للحصول على ألف قطعة ذهبية من السلطان العثماني سليمان القانوني وذلك عن طريق إرسال المسيو جون دو لافوري^[76] الذي توصل إلى عدة تفاهات مع السلطان العثماني سليمان القانوني، ومن النقاط التي تم الاتفاق عليها أن يقوم السلطان بمهاجمة جنوب إيطاليا بينما يُقدّم فرانسوا على إخضاع شمالها وفي الحقيقة كان السلطان يريد إبرام معاهدة خطية بهذا الشأن^[77] لكنه ظل متوجساً لا يثق بالمجازفات العسكرية التي طُلِبَتْ منه.^[78]

شهدت سنة (911هـ/1533م) ارتفاعاً في عدد المراسلات الدبلوماسية بين الطرفين حيث اتجه الأسطول

[71] فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ص 84

[72] أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج 1، ص 276-268

[73] يحيى، يحيى، أوروبا في العصور الحديثة، ص 430

[74] كريسي، إدوارد، تاريخ الاتراك العثمانيين، تر: أحمد سالم، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، قطر، 2019م ص 249

[75] فهمي، نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب واخر العصور الوسطى، دار المعارف، القاهرة، 1970م، ص 471

[76] جون دو لافوري : رجل من أصل هنغاري، كان راهباً من فرسان القديس يوحنا وكانت تربطه علاقة حميمة بالملك فرانسوا الأول وله صلة بالعائلة الملكية الفرنسية تم اختياره من قبل الملك الفرنسي للقيام بمهمة إجراء مفاوضات لأجل عقد معاهدات الامتيازات العثمانية الفرنسية. الدوري، ص 14

[77] كان هناك عدة أسباب شكلت عوامل دفع ورغبة لإبرام معاهدة مع الفرنسيين أولها تكون هذه المعاهدة بمثابة حجة يستطيع من خلالها التدخل في شؤون أوروبا الداخلية ومن خلالها تكتسب عملياته طابع الرسمية ضد شارل الخامس كما أن السلطان العثماني سليمان القانوني كان يرى شارل الخامس مغتصب لعرش الإمبراطورية وأراد التخلص منه في الوقت الذي كان يعترف به الأوروبيون على عرش روما الغربية. أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، ج 1، ص 268

[78] يحيى، يحيى، أوروبا في العصور الحديثة، ص 198

العثماني بقيادة خير الدين بربروسا لمقابلة الملك الفرنسي وبصحبته عدد من الأسرى الفرنسيين الذين أعادهم خير الدين إلى بلادهم بعد تحريرهم من الإسبان مما كان له أثر كبير وإيجابي في نفس الملك فرانسوا الأول^[79].

توطدت تلك العلاقات من خلال تبادل النصائح بين الطرفين حيث أشار السلطان العثماني على الملك الفرنسي بعدم الانجرار إلى أي صلح قد يطرح من قبل الإسبان لأن ذلك سيؤدي إلى خسارة فرنسا للكثير من الأراضي التي كان الإسبان قد سيطروا عليها خلال وقوعه في الأسر وقد صرح نتيجة لذلك الملك الفرنسي أمام البابا كلمنت السابع (901-921هـ / 1523-1543م) أنه لن يقف في وجه غزو السلطان العثماني للبلاد المسيحية، وإنما سوف يساعده على ذلك حتى يتمكن من استرجاع ما أخذه الإمبراطور من أراضيه^[80].

استمرت عرى التقارب في ازدياد على يد المبعوث الفرنسي رينشون إلى درجة أن السلطان العثماني سليمان القانوني دعا الملك الفرنسي لحضور ختان أبنائه كذلك ازدادت الثقة بين الطرفين عندما أبلغ السلطان العثماني الملك الفرنسي بمحاولة اغتيال مبعوثه في استانبول من قبل الإسبان^[81].

شهدت سنة (914هـ/1535) نجاحاً للمسااعي الدبلوماسية بين الجانبين وتوجت باتفاق منحت فيه فرنسا ورعاياها العديد من الامتيازات وتم توقيعها بعد مفاوضات بين الصدر الأعظم إبراهيم باشا والمبعوث الفرنسي جان دولا فوريه والذي عين بصفة رسمية أول مبعوث في العاصمة العثمانية ووصفت تلك المعاهدة بأنها قلبت موازين القوى في البحر المتوسط^[82].

عزز المعاهدة السابقة التنسيق العسكري بين الطرفين فقد تبادلوا المساعدات العسكرية ومن الأدلة على ذلك ما قام به العثمانيون والفرنسيون من حملة مشتركة سنة (915هـ/1537م) على فارنا غايتهم السيطرة عليها^[83] كما يمكن أن نرى هذا التحالف العسكري واضحاً بعد أن انزعجت الدول الأوربية من التقارب العثماني الفرنسي وعملت على تكوين تحالف ضد العثمانيين ضمت كلاً من البندقية و البابوية وفرسان القديس يوحنا وآل هابسبورغ وهاجموا الأسطول العثماني سنة (916هـ/1538م) في ميناء بريفيزا ولكنهم تلقوا هزيمة نكراء بعد وصول التعزيزات البحرية الفرنسية كما دخل الفرنسيون وسطاء بين الطرفين وتم إبرام هدنة تنازلت فيها إسبانيا عن جزر الأرخبيل للعثمانيين^[84].

عاد الصراع الفرنسي الإسباني إلى الواجهة بين عامي (918-922هـ / 1540-1544م) على خلفية قيام الملك الإسباني بمنح دوقية ميلان لابنه الأمير فيليب مما أثار غضب الملك الفرنسي فرانسوا الأول فدخلوا في صراع مع الإسبان وقدم السلطان العثماني كل المساعدات الممكنة للفرنسيين إلى درجة أن الأسطول العثماني شارك في فك الحصار الإسباني عن ميناء نيس فكان للعثمانيين حضور فاعل في تلك المعارك في ظلّ الضعف الفرنسي مقارنة بالإسبان^[85].

^[79] SHAW, Stanford, history of the Othman empire and modern turkey Cammbridge, university, press, London, 1967.P97

^[2] كلو، سليمان القانوني غازي الغزاة، ص167

^[81] مرجع نفسه، ص173

^[82] القيسي، أنيس عبد الخالق، النشاط البحري العثماني في البحر المتوسط خلال القرن السادس عشر، أطروحة دكتوراه، جامعة

بغداد، العراق، 2008م، ص151

^[83] مرجع نفسه، ص152

^[84] Lan pool.stanley.the story of barbary corsaris.london.1789.p99

^[1] العزاوي، قيس جواد، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ص23

استمرت الجهود المشتركة العثمانية الفرنسية موجهة ضد الإسبان والإغارة على مواقعهم بين عامي (921-922هـ / 1543-1544م)، وكانت بين الفشل والنجاح، وغالباً ما وقع الصلح بين الأطراف الثلاثة كما حدث في سنة (922هـ / 1544م).^[86]

بعد وصول الملك هنري الثاني إلى عرش فرنسا سنة (925هـ / 1547م) اتبع نهج والده تجاه العثمانيين واستمر في سياسة اللين والتقارب معهم ومن أبرز الأمثلة على ذلك وقوفه إلى جانب الدولة العثمانية ضد التحالف الصليبي الذي شكل ضدها عام (928هـ / 1550م)، والذي ضم كلاً من إسبانيا والبنديقية وفرسان القديس يوحنا^[87].

استمرت بدورها سياسة العداء المشترك العثماني الفرنسي للإسبان وظهر ذلك جلياً في مضمون رسالة وُجّهت إلى السلطان العثماني سليمان جاء فيها: "لم يبق لدى فرنسا أي أمل بالمساعدة من أي مكان آخر عدا حضرة السلطان العثماني حيث أنّ السلطان العثماني قد قدم مساعدات من قبل.. إنّ فرنسا ستكون ممثلة إلى الأبد لو ساعدت بمقدار من النقود والبضائع"^[88] وبناءً على ذلك تم توقيع معاهدة تحالف بين الطرفين سنة 1553م كانت تستهدف بالمقام الأول إسبانيا وكانت على درجة كبيرة من السرية لدرجة أنّ المصادر لم تذكرها ولكن استنتجت الحملة العثمانية الفرنسية على السواحل الإيطالية كبند منها خلال تلك الفترة.^[89]

خلال عام (933هـ / 1555م) بادر الملك هنري الثاني إلى تجديد معاهدة التحالف السابقة عن طريق إرسال مبعوثه كودنيك إلى استانبول، وبالفعل تحقق ما يريد وأجابه السلطان العثماني لذلك^[90] وضمن إطار تلك المعاهدة أغار الأسطول الخاص بكلتا الدولتين على جنوب إيطاليا، وتحديدًا على منطقة كالابريا وجزر صقلية والبلبار^[91].

على الرغم من التحالفات السابقة بقيت العلاقة بين الطرفين متذبذبة ولا سيما عندما قدمت فرنسا سنة (937هـ / 1559م) على عقد معاهدة مع إسبانيا دون إخبار السلطان العثماني بها مما أثار غضبه وقال لسفير هنري الثاني في استانبول المدعو لافيني: "اكتب إلى سيدك وقل له إذا كان من الصعب على أصدقاء قداماء أن يصبحوا أعداء فمن الصعب أيضاً على أعداء قداماء أن يصبحوا أصدقاء أوفياء"، وتعتبر هذه الكلمات عن مدى تأثير السلطان سليمان القانوني بالوضع القائم^[92]

لم تمنع هذه الظروف بقاء الصداقة العثمانية الفرنسية، حيث أنه بعد توقيف بعض الفرنسيين كانوا متوجهين إلى القدس، أوفد الملك الفرنسي هنري الثاني مبعوثاً إلى السلطان العثماني ومعه رسالة يطلب فيها إطلاق سراحهم وهو الطلب الذي لم يرفضه السلطان العثماني، كما كتب هذا الأخير رسالة إلى هنري الثاني جاء فيها: "بمقتضى الصداقة الصريحة والروابط الموجودة بيننا لبينا رغباتكم حيث تم إطلاق سراح السجناء لكن فيما يخص صلحكم مع الإسبان

^[86] history of the Othman empire and modern turkey . p103

^[3] حسنة، كمال، العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان العثماني سليم الثالث 1789-1807م، رسالة ماجستير، جامعة

الجزائر، الجزائر، 2006م، ص27

^[88] العزاوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط ص24

^[89] رانسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، ص102

^[90] خوري، إميل، السياسة الدولية في الشرق الأوسط العربي من القرن السادس عشر إلى مؤتمر فيينا سنة 1815م، دار النشر

للسياسة والتاريخ، بيروت، 1990م، ج1، ص8

^[91] مصدر نفسه، ص8

^[92] مصدر نفسه، ص47

يجب أن تبثوا حذرين .." [93].

3- معاهدة الامتيازات العثمانية - الفرنسية سنة (942هـ/1536م):

شكلت هذه المعاهدة التي تم إبرامها بين الطرفين العثماني - الفرنسي نقطة تحول في تاريخ العلاقات بينهما ومثلت البداية الحقيقية للتقارب العثماني الفرنسي وليس هذا فحسب بل كانت تُعدّ حجر الزاوية التي قامت على أساسها معاهدات الامتيازات المشابهة للعديد من الدول الأوروبية، حيث تنوّعت مظاهرها بين سياسية وعسكرية واقتصادية وحتى دينية قضائية تصدّرت المكانة في قائمة المعاهدات اللاحقة مع الدول الأوروبية [94].

جاءت معاهدة الامتيازات نتيجة لتطور العلاقات بين الجانبين العثماني والفرنسي والتقارب الحاصل بينهما وقد أسفرت تلك المباحثات والعمل على تحقيق ما يخدم مصالح الطرفين إضافة إلى جملة من العوامل التي هيأت الأرضية المناسبة للوصول إلى الشكل النهائي للمعاهدة:

1- الحالة السياسية المتوترة في الساحة الأوروبية والصراعات الدموية التي ألقت بظلالها على شعوب تلك الدول بوصفها نتيجة على العرش الروماني بين فرانسوا الأول وشارل الخامس [95]، كما أراد فرانسوا الأول فرض التبعية على الولايات الإيطالية فاجتاحت قواته إيطاليا ما أدى إلى اختلال في ميزان القوى الدولية [96].

2- تطلع السلطان العثماني سليمان القانوني إلى استغلال الوضع القائم بما يساعده على توسيع ممتلكاته وقد أدرك أن ذلك يتم بصورة أسرع في حال تم الدخول في حلف مع فرنسا ضد العدو للدود للدولة العثمانية ألا وهي إسبانيا [97].

3- الرغبة الجامحة للسلطان العثماني في إبقاء العلاقات مع الغرب الأوروبي ولاسيما في الميدان التجاري حيث اشتهر الأوروبيون في هذا الميدان لاسيما الهولنديين والجنوبيين والبنادقة ولا يريد خسارة موارد هذا الميدان والمحافظة على الطرق البرية التي تصلهم بالمناطق الأوروبية البرية في الشمال من تلك القارة [98].

4- هدف السلطان العثماني سليمان القانوني من خلال العمل على التقرب من فرنسا وتوقيع هذه المعاهدة على تلبية ما حمله أسلافه من إخلاص للشرعية الإسلامية والعمل على نشرها في المناطق المختلفة من العالم التي يستطيعون الوصول إليها والدفاع عن الديار الإسلامية ضد الصليبيين فكان الخيار السلمي مساعداً في ذلك [99].

[93] حسنة، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ص26

[94] إن ما يثير الجدل الكبير في تلك المعاهدة نوعيتها حيث أن مهمة السفير جون دو لافوري التي بعث من أجلها إلى استانبول ذات طابع سياسي وهو طلب المساعدة والدعم لمواجهة شارل الخامس إلا أنها سرعان ما أخذت منحى آخر اقتصادي تجاري وقد ذهب الباحث ليلي الصباغ إلى تفسير ذلك بقولها أن تعليمات فرانسوا الأول الكتابية إلى دو لافوري لا تنص على الأمور التجارية في الشرق ولكن هذا لا يعني حسبها بأنه لم يكن مكلفاً شفهياً بالبحث في هذه الأمور فاتجاه فرنسا نحو تقوية تجارتها في الشرق كان واضحاً في القرن 16م كما أن صراعاتها مع إيطاليا ورغبتها في فرض سيادتها البحرية والتجارية بالتعاون مع الدولة العثمانية لدليل واضح. الصباغ، ليلي، الجاليات الأوروبية في بلاد الشام في العهد العثماني في القرنين السادس عشر والسابع عشر، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1989م، ج1، ص140

[95] الثقافي، معاهدات الامتيازات العثمانية الفرنسية 1535-1941م، مجلة كلية الشريعة، السعودية، م6، ع6، 1982م، ص152

[96] نوار، التاريخ الأوروبي الحديث في عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ص130

[97] حرب، العثمانيون في التاريخ والحضارة، ص67

[98] مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص94

[99] القاري، ياسر عبد العزيز، دور الامتيازات في سقوط الدولة العثمانية، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى ن، السعودية، 2001م، ص111

5- كان اكتشاف رأس الرجاء الصالح من ضمن العوامل الأساسية التي دفعت العثمانيين لإبرام تلك المعاهدة، نتيجة للأضرار التي لحقت بسببه بالميزانية المالية للدولة العثمانية حيث فقدت الكثير من أرباح التجارة المارة عبر أراضيها وبالتالي وجد السلطان العثماني في التحالف مع فرنسا فرصة لإعادة الحياة لنشاطها البحري عبر البحر المتوسط^[100].

تضمنت المعاهدة مجموعة من البنود منها:

- 1- الحرية التامة في التنقل والملاحة في السفن المسلحة وغير المسلحة
- 2- حق الفرنسيين في التجارة والمتاجرة في جميع أنحاء الإمبراطورية العثمانية
- 3- في كل مرة يتم تنصيب سفير جديد لفرنسا في القسطنطينية أو غيرها من مدن الإمبراطورية يتم معاملته بطريقة لائقة وأن يكون له كلمة الفصل في جميع ما يتعلق بشؤون رعايا الملك الفرنسي هناك لاسيما القضايا المدنية والجنائية من دون أن يمنعه أحد من أصحاب القرار في الإمبراطورية العثمانية، ولكن في حال تمرّد بعضهم على قرار القنصل فلا مانع من الاستعانة بموظفي السلطان العثماني في سبيل الوصول إلى نتيجة مناسبة.^[101]
- 4- لا يجوز سماع الدعاوى المدنية التي يقيمها العثمانيون، وجباة الخراج أو غيرهم من رعايا السلطان العثماني ضد التجار أو غيرهم من رعايا فرنسا، أو الحكم عليهم فيها مالم يكن مع المدعين سندات بخط المدعى عليهم أو حجة رسمية تكون صادرة عن القاضي الشرعي أو القنصل الفرنسي، وفي حال وجود سندات أو حجج لا تسمع الدعاوى أو شهادة مقدمها إلا بحضور ترجمان القنصل.^[102]
- 5- يمنع منعاً باتاً التعرض لسفن البندقية التي ترسو في موانئ السلطنة العثمانية وألا يتم القبض على طاقمها أو أدواتها أو مجازيفها سواء عن طريق السفلة أو الشراء.^[103]
- 6- يكون لتجار فرنسا ورعاياها الحق بالتصرف في كافة متعلقاتهم بالوصية بعد موتهم، وعند وفاة أحدهم وفاة طبيعية أو قهرية عن وصية فتوزع أمواله وباقي ممتلكاته على حسب ما جاء فيها، وفي حال توفي ولم يوص فتسلم تركته إلى وارثه أو الوكيل عنه بمعرفة القنصل إذا كان في محل وفاته قنصل وإلا فتحتفظ تركته بمعرفة قاضي الجهة بعد أن تجري بها قائمة جرد على يد شهود، أما في حال مات وهو في جهة قنصل فلا يكون للقاضي أو مأمور بيت المال أو غيرهم أي دور في ضبط التركة مطلقاً.^[104]
- 7- في حال تعرض أي من السفن التجارية التي تحمل على متنها السلع تساعد السلطات العثمانية في إنقاذ طاقمها وسلعها وتحفظ بأمان لكي ترد لأصحابها بينما مواد السفينة المتحطمة من أخشاب وأدوات فهي ملك للسلطان يحق له التصرف بها، وفي حال لم تثبت ملكية تلك السلع تترك حتى وصول سفن أخرى سليمة وتسلم للقنصل.^[105]
- 8- في حال تصادمت سفن الدولتين في عرض البحر فيجب أن يبادر الطرفان برفع أعلام دولهم والتعريف بأنفسهم كما يتم إصلاح الضرر الذي تسبب به طرف لآخر وبعد معرفة الطرفين بأنفسهما لا يحق لكل منهما مضايقة الآخر أو

^[100] سهيلة، الإمتيازات الأجنبية في الدولة بين الآثار الإيجابية والسلبية، ص20

^[101] العريض، وليد، تاريخ الدولة العثمانية التاريخ السياسي والإداري ودراسات تاريخية، دار الفكر، عمان، 2012م ص161

^[102] مرجع نفسه، ص163

^[103] رانيسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، ص294

^[104] العريض، تاريخ الدولة العثمانية التاريخ السياسي والإداري ودراسات تاريخية، ص162

^[105] رانيسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، ص292

التفتيش مطلقاً^[106].

9- في حال هرب بعض الأرقاء المملوكين من قبل العثمانيين واحتفى في بيت أو مركب لأحد الفرنسيين فيتم معاقبته تحت أنظار القنصل ويُردُّ العبد لسيده، وفي حال عدم ثبوت ذلك على صاحب الدار والمركب فلا يسأل عن ذلك مطلقاً^[107].

ومن خلال دراسة متأنية للمعاهدة السابقة ومحاولة لتحليلها فيمكن القول أنها الهدف الأساسي من عقد تلك المعاهدة هو النواحي السياسية والتي كانت تُعدّ العنصر الأهم في تلك الفترة وإن لم تظهر بشكل جليّ كما أنّ ذلك التحالف شكّل خرقاً خطيراً في طبيعة العلاقات الإسلامية النصرانية في ظلّ التزايد في الهجمات العسكرية على الأراضي الأوروبية من ظروف تاريخية خاصة حرجة محيطها، سواء محنة المسلمين في الأندلس أو الخطر الصفوي في المشرق والكشوفات المتواصلة كلّها هيّجت الكاثوليك في أوروبا^[108].

كما يمكن القول أنّ تلك المعاهدة قد مكّنت الطرفين من تحقيق مصالحهما ولاسيما شقّها التجاري على الرغم من البنود المجحفة بحقّ العثمانيين إلا أنّ فرنسا نالت من خلالها جملة من الفوائد القضائية والتجارية والسياسية^[109] إضافة إلى ما سبق فقد تمكّنت الدولة العثمانية من تجسيد سياستها الجديدة التي ميزت العلاقات العثمانية الأوروبية من القوة إلى السلم والتقريب والعمل من أجل تحقيق المصالح، وبالتالي كانت هذه المعاهدة واحدة من بين جملة من الاتفاقات التي استطاعت الدولة العثمانية من خلال ما ضمّته من امتيازات أن تتجاوز تلك المتغيرات التي كانت تعيشها الدولة العثمانية بصفة خاصة وأوروبا بصفة عامة^[110].

4- انعكاسات التقارب على الدولة العثمانية وفرنسا:

استطاع السلطان العثماني سليمان القانوني عن طريق دخوله في هذا التحالف مع فرنسا من إبعادها عن المعسكر المسيحي الغربي واتخاذها مانعاً في وجه أي تحالف صليبي قد يشكل ضد دولته مستقبلاً حيث أنّ الأوروبيين كانوا على الدوام يسعون لتجميع قوتهم بعد كل هزيمة متطلعين للقضاء المبرم على العثمانيين^[111].

تمكن السلطان العثماني أيضاً من إحداث نقلة نوعية في الاقتصاد العثماني عموماً وتجارة دولته خصوصاً، كما ساعدت عملية التقارب والمعاهدة التي وقعت مع فرنسا على تنويع مصادر البضائع القادمة للدولة العثمانية وأعدت الحياة لموانئها واستقطبت الكثير من التجار، الأمر الذي ترك أثراً سلبية وخيبة أمل كبيرة لدى الأوروبيين الذين كانوا يرغبون في تحطيم العثمانيين اقتصادياً^[112].

ظن السلطان العثماني أنّ هذه المعاهدات والاتفاقيات تحمل الصفة المؤقتة وأنه باستطاعته إلغائها متى أراد ما دامت القوة بيده^[113] في الطرف المقابل كان الهدف الفرنسي من تلك المعاهدات والتقارب أن تقيم علاقات اقتصادية مع المشرق وأن يكون لها شركات استثمارية هناك^[114] ومن خلال قراءة البنود السابقة نرى أنّ معظمها يصب في صالح الفرنسيين دون

[106] الغزوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ص 184

[107] سحري، محمد الطاهر، مختصر الدولة العثمانية، مطبعة المطرف، الجزائر، 2008م، ص 164

[108] الغزوي، الدولة العثمانية قراءة جديدة لعوامل الانحطاط، ص 19

[109] مرجع نفسه، ص 19

[110] سهيلة، الإمتيازات الأجنبية في الدولة بين الآثار الإيجابية والسلبية ص 24

[111] الباري، دولة الخلافة العثمانية قراءة في نشأتها ومظاهرها حضارتها وعوامل سقوطها، ص 117

[112] السباعي، تيسير، تاريخ الدولة العثمانية، دار الفكر، القاهرة، 1993م، ج 1، ص 335

[113] الرانسي، العلاقات العثمانية الأوروبية في القرن السادس عشر، ص 101

[114] شاكر، محمود، التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط 3، 1991م ص 112

مقابل يذكر وكانت قاعدة للتدخل الأوروبي لاحقاً عن طريق سلسلة من الامتيازات المشابهة لها.^[115]

شكلت الامتيازات الاقتصادية أداة ضغط على الدولة العثمانية استغلتها فرنسا لاحقاً إلى جانب الدول الأوروبية الأخرى للتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية، كما أضحت الرعايا الفرنسيون يتصرفون كما يريدون غير آبهين بالقوانين ما داموا محميين عن طريق المعاهدات السابقة، وكذلك كانوا يحرضون البقية من خاصتهم مما شكل عامل ضعف للدولة العثمانية مع مرور الوقت^[116].

أدت الامتيازات التجارية إلى تقوية المؤسسات الأجنبية عموماً والفرنسية خصوصاً، بمختلف أنواعها، لا سيما المؤسسات الاقتصادية التي كانت منتشرة في مناطق مختلفة من الدولة العثمانية وتوسع نفوذ فرنسا مادياً ومعنوياً في مرحلة لاحقة مما أدى إلى تحقيق الأهداف التي سعت من أجلها، كما زاد تعمقها الثقافي أيضاً إلى درجة يفوق النفوذ السياسي الذي كان غالباً ما ينتهي بالغزو العسكري^[117].

تحكّم الفرنسيون داخلياً أيضاً في مسألة الصادرات والواردات العثمانية وأسعار تلك المواد فضلاً عن ممارستهم الاحتكار لبعض تلك السلع مما انعكس سلباً على السكان المحليين المستهلكين لها، وسبب ذلك مشكلات كبيرة في الاقتصاد العثماني كما كان لهم تحكم في النقد المالي مع مرور الوقت ومن خلال معاهدات أخرى، الأمر الذي تسبب بأزمات مالية ضخمة، إلى أن أصبح الفرنسيون المتحكمين الرئيسيين بالاقتصاد العثماني، فضلاً عن إعفاء رعاياهم من الضرائب، مما حرم الخزينة العثمانية الكثير من الأموال^[118].

^[115] مصطفى، في أصول التاريخ العثماني، ص134

^[116] متولي، أحمد فؤاد، تاريخ الدولة العثمانية منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي، إيتراك للطباعة والنشر، القاهرة، 2002م، ص268

^[117] نجم، زين العابدين، تاريخ الدولة العثمانية، دار المسيرة، الأردن، 2010م، ص295

^[118] [غربي، الغالي، دراسات حول تاريخ الدولة العثمانية والمشرق العربي، دين، د.ت، 2007م، ص204]

(المراجع (Reference)

- [1] إبراهيم، بكر محمد . الدولة العثمانية، مركز الـراية للنشر والإعلام، القاهرة، 2006م
- [1] I. B. Muhammad, *The Ottoman State*, Cairo: Al-Rayah Center for Publishing and Media, 2006.
- [2] ابن إياس، محمد بن أحمد (ت930هـ/1524م) . بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق : محمد مصطفى، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، 1984 م
- [2] M. ibn A. Ibn Iyas, *Bada'i' al-Zuhur fi Waqa'i' al-Duhur*, edited by M. Mustafa, Cairo: General Egyptian Book Organization, 1984.
- [3] أبو دية، صلاح . السلطان سليمان القانوني مرارة الواقع والدرامة الكاذبة، دار ابن النفيس للنشر والتوزيع، الكويت، 2013 م
- [3] S. Abu Diya, *Sultan Suleiman the Magnificent: The Bitterness of Reality and the False Drama*, Kuwait: Dar Ibn al-Nafis for Publishing and Distribution, 2013.
- [4] أبو غنيم، زياد . السلطان المجاهد محمد الفاتح، دار الفرقان، عمان، 1983م
- [4] Z. Abu Ghanima, *Sultan Muhammad al-Fatih*, Amman: Dar al-Furqan, 1983.
- [5] أرسلان، شبيب. تاريخ ابن خلدون المسمى بكتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ط1، 2012م
- [5] S. Arslan, *Ibn Khaldun's History, also known as Kitab al-'Ibar wa Diwan al-Mubtada' wa al-Khabar*, 1st ed., Egypt: Hindawi Foundation for Education and Culture, 2012.
- [6] أشتياني، عباس إقبال . تاريخ إيران بعد الإسلام (من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية)، ترجمة : محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة، القاهرة، 1990م
- [6] A. I. Ashtiani, *History of Iran after Islam (From the Beginning of the Tahirid State to the End of the Qajar State)*, translated by M. A. Mansour, Cairo: Dar Al-Thaqafa, 1990.
- [7] غورلو، طلحة. سلطان حكم العالم " القانوني رحلة شيقة في تاريخ الدولة العثمانية "، ترجمة : عبد القادر عبد الله، ثقافة للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، ص2015م
- [7] T. Gurlu, *Sultan Suleiman the Magnificent: A Fascinating Journey Through the History of the Ottoman State*, translated by M. A. Mansour, Cairo: Dar al-Thaqafa, 1990.
- [8] أفندي، إبراهيم، مصباح الساري ونزعة القاي، دار صادر، بيروت، 1855م
- [8] I. Efendi, *Misbah al-Sari wa Nuzhat al-Qay*, Beirut: Dar Sader, 1855.
- [9] أمجان، فريدون. سليمان القانوني سلطان البرين والبحرين، ترجمة: جمال فاروق، دار النيل للطباعة والنشر، مصر، 2015م
- [9] F. Amjan, *Suleiman the Magnificent: Sultan of the Two Lands and the Two Seas*, translated by J. Farouk, Egypt: Dar al-Nil for Printing and Publishing, 2015.
- [10] إينالجيک، خليل. تاريخ الدولة العثمانية من النشوء إلى الانحدار، ترجمة : محمد الأرناؤوط، دار المدار الإسلامي، بنغازي، 2002م
- [10] H. Inalcik, *History of the Ottoman State: From Rise to Decline*, translated by M. al-Arna'ut, Benghazi: Dar al-Madar al-Islami, 2002.

- [11] **الباروني، محمد**. الإسبان وفرسان القديس يوحنا، مطبعة ماجي، طرابلس، 1952م
[11] M. Al-Barouni, *The Spaniards and the Knights of St. John*, Tripoli: Magi Press, 1952.
- [12] **بروكلمان، كارل**. تاريخ الشعوب الإسلامية، تر: نبيه فارس، دار العلم للملايين، بيروت، ط5، 2001م
[12] C. Brockelmann, *History of the Islamic Peoples*, 5th ed., translated by N. Faris, Beirut: Dar al-Ilm lil-Malayin, 2001.
- [13] **البعلبكي، منير**. معجم الأعلام المورد (موسوعة التراجم لأشهر الأعلام العرب والأجانب القدامى والمحدثين، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م
[13] M. Al-Baalbaki, *Dictionary of Notable Figures (Encyclopedia of Biographies of Famous Arab and Foreign Figures, Past and Present)*, Beirut: Dar Al-Ilm lil-Malayin, 1992.
- [14] **الثقفي، يوسف**. معاهدات الامتيازات العثمانية الفرنسية 1535-1941م، (مجلة كلية الشريعة)، السعودية، م6، ع6، 1982م
[14] M. Al-Thaqafi, "Ottoman-French Treaties of Capitulations 1535-1941," *Journal of the College of Sharia*, vol. 6, no. 6, Saudi Arabia, 1982.
- [15] **حرب، محمد**. العثمانيون في التاريخ والحضارة، المركز المصري للدراسات العثمانية، القاهرة، 1994م
[15] M. Harb, *The Ottomans in History and Civilization*, Cairo: Egyptian Center for Ottoman Studies, 1994.
- [16] **حسنه، كمال**. العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان العثماني سليم الثالث 1789-1807م، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، الجزائر، 2006 م
[16] K. Hasna, *Ottoman-French Relations during the Reign of Sultan Selim III 1789-1807*, M.S. thesis, University of Algiers, Algeria, 2006.
- [17] **حسين، نصار**. الموسوعة العربية الميسرة، المكتبة المصرية، بيروت، 2009م، م2
[17] N. Hussein, *The Concise Arab Encyclopedia*, vol. 2, Beirut: Egyptian Library, 2009.
- [18] **حلاق حسان**. مدن وشعوب سلامية، دار الرتب الجامعية، سوفنير، دت، ج4
[18] H. Hallaq, *Islamic Cities and Peoples*, vol. 4, Souvenir: Dar Al-Rutab Al-Jami'iyya, n.d.
- [19] **حليم بك، إبراهيم**. التحفة الحليمية في تاريخ الدولة العثمانية، مطبعة ديوان عموم الأوقاف، فلسطين، 1905م
[19] I. Halim Bey, *The Masterpiece Al-Halimiyah in the History of the Ottoman State*, Palestine: General Endowments Press, 1905.
- [20] **حونس، حسين**. الجارية روكسلانة تتزوج السلطان سليمان القانوني، دار ومطابع الإسكندرية، مصر، 1996م
[20] H. Hunes, *The Slave Girl Roxelana Marries Sultan Suleiman the Magnificent*, Egypt: Alexandria Press, 1996.
- [21] **دحلان، أحمد**. الفتوح الإسلامية بعد مضي الفتوحات النبوية، مكتبة الحقيقة، تركيا، 1433هـ
[21] A. Dahlan, *Islamic Conquests After the Prophetic Conquests*, Turkey: Al-Haqiqa Library, 1433 AH.

- [22] **رائسي، إدريس الناصر**. العلاقات العثمانية - الأوروبية في القرن السادس عشر، دار الهادي للطباعة والنشر، بيروت، 2007م
- [22] I. Al-Nasir Raisi, *Ottoman-European Relations in the Sixteenth Century*, Beirut: Al-Hadi Printing and Publishing House, 2007.
- [23] **زاخوي، ماجد محمد**. إمارة بدليس في العهد العثماني (دراسة تاريخية وثائقية)، مركز زاخو للدراسات الكردية، العراق، 2018م
- [23] M. M. Zakhoi, *The Emirate of Badlis in the Ottoman Era (A Historical and Documentary Study)*, Iraq: Zakho Center for Kurdish Studies, 2018.
- [24] **زياني، محمد بن عبد الملك**. مئة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ، دار النفائس، بيروت، ط3، 2013م
- [24] M. ibn A. Ziyani, *One Hundred Great Figures of the Islamic Nation Who Changed the Course of History*, 3rd ed., Beirut: Dar al-Nafais, 2013.
- [25] **السباعي، تيسير**. تاريخ الدولة العثمانية، دار الفكر، القاهرة، 1993م، ج1
- [25] T. Al-Siba'i, *History of the Ottoman State*, vol. 1, Cairo: Dar al-Fikr, 1993.
- [26] **سحري، محمد الطاهر**. مختصر الدولة العثمانية، مطبعة المطرف، الجزائر، 2008م
- [26] M. al-T. Sahri, *A Summary of the Ottoman State*, Algeria: Al-Mutarraf Press, 2008.
- [27] **سهيلة، أحمد سرير**. الإمتيازات الأجنبية في الدولة بين الآثار الإيجابية والسلبية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة يحيى فارس، المدينة، 2014م
- [27] A. S. Suhayla, *Foreign Privileges in the State: Between Positive and Negative Effects*, M.S. thesis, Yahya Fares University, Medea, 2014.
- [28] **السيد، محمود السيد**. تاريخ الدولة العثمانية النشأة والازدهار، مكتبة أدب، القاهرة، 2007م
- [28] M. al-S. Al-Sayyid, *History of the Ottoman State: Origins and Prosperity*, Cairo: Adab Library, 2007.
- [29] **شاكر، محمود**. التاريخ الإسلامي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط3، 1991م
- [29] M. Shaker, *Islamic History*, 3rd ed., Beirut: Al-Maktab al-Islami, 1991.
- [30] **الشناوي، عبد العزيز**، وروبا مطلع العصور الحديثة، دار المعارف، مصر، ج1، 1969م
- [30] A. A. Al-Shinawi, *Europe at the Dawn of the Modern Era*, vol. 1, Egypt: Dar al-Ma'arif, 1969.
- [31] **الشويخات، أحمد مهدي**. الموسوعة العربية العالمية، دن، السعودية، 2004م
- [31] A. M. Al-Shuweikhat, *The Global Arab Encyclopedia*, Saudi Arabia: n.d., 2004.
- [32] **صابان، سهيل**. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 2000م
- [32] S. Saban, *The Encyclopedic Dictionary of Ottoman Historical Terms*, Riyadh: King Fahd National Library, 2000.
- [33] **صباغ، عباس إسماعيل**. تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، دار النفائس، بيروت، 1999م
- [33] A. I. Sabbagh, *The History of Ottoman-Iranian Relations*, Beirut: Dar al-Nafais, 1999.

- [34] طربيش، جورج . معجم الفلاسفة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، 2006م
- [34] G. Tarbish, *Dictionary of Philosophers*, Beirut: Dar al-Tali'ah for Printing and Publishing, 2006.
- [35] طقوش، محمد سهيل. تاريخ الدولة الصفوية في إيران، دار النفائس، بيروت، ط1، 2009 م.
- [35] M. S. Taqush, *The History of the Safavid State in Iran*, 1st ed., Beirut: Dar al-Nafais, 2009.
- [36] طوباش، نوري. العثمانيون رجالهم العظام ومؤسساتهم الشامخة، دار الأرقم، استانبول، 2016م
- [36] N. Topash, *The Ottomans: Their Great Men and Lofty Institutions*, Istanbul: Dar al-Arqam, 2016.
- [37] عباس، باسم حمزة . إيران في عهد الشاه طهماسب الأول الصفوي، (مجلة الخليج العربي)، البصرة، م40، ع1، 2012 م
- [37] B. H. Abbas, "Iran in the Era of Shah Tahmasp I of the Safavid Dynasty", *Arabian Gulf Journal*, vol. 40, no. 1, Basra, 2012.
- [38] كريسي، ادوارد. تاريخ الاتراك العثمانيين، تر: أحمد سالم، دار جامعة حمد بن خليفة للنشر، قطر، 2019م
- [38] E. Cressy, *A History of the Ottoman Turks*, translated by A. Salem, Qatar: Hamad Bin Khalifa University Press, 2019.
- [39] المحامي، محمد فريد بك. تاريخ الدولة العلية العثمانية، دار النفائس، بيروت، ط1، 1981 م
- [39] M. F. Bey, *History of the Sublime Ottoman State*, 1st ed., Beirut: Dar al-Nafais, 1981.
- [40] S. Lanpool, *The Story of Barbary Corsairs*, London, 1789.
- [41] S. Shaw, *History of the Ottoman Empire and Modern Turkey*, Cambridge: Cambridge University Press, London, p. 97, 1967.
- [42] D. Gofan, *The Ottoman Empire and Early Modern Europe*, in *War in Early Modern World*, Cambridge, p. 155, 2003.
- [43] C. Louies, *The Imperial Motet: Barometer of Relations Between State and Church, the Pursuit of Holiness*, in *Studies in Medieval and Reformation*, Leiden, vol. 10, , p. 490, 1972
- [44] W. Durant, *The Renaissance*, New York: Simon and Schuster, , p. 191, 1952.
- [45] J. Ripult, *Histoire de la Maison de Bourbon*, vol. III, Paris: Imprimerie Royale, , p. 249, 1907.